

واقع المسلمين في الامبراطورية الروسية في العهد القيصري

- نهاية حكم القياصرة .
- المسلمون تحت حكم البلاشفة الشيوعيين .
- الثورة البلشفية ونداء لينين .
- ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي .
- الاضطهاد الشيوعي للمسلمين .
- مذبحة القرم .

obeikandi.com

واقع المسلمين في الإمبراطورية الروسية في العهد القيصري

في الوقت الذي أظهر فيه الحكام المسلمون من التتار والعثمانيين تسامحا مع المسيحيين في المناطق التي حكموها ، ولم يأذنوا لأنفسهم باضطهادهم ، واقتصروا على تلقي لجزية منهم دون أن يرغموهم على اعتناق الإسلام . قام الصقالبه الأرثوذكس بالانتقام من المسلمين عامة تتار وعثمانيين ، واعتبروا المسلمين جميعا في كافة أرجاء الأرض أعداء لروسيا وتسببوا في تقويض بيزنطة الامبراطورية الرومانية المقدسة . اضطهد ايفان الرابع المسلمين وحرق مساجدهم وصادر أموالهم وهاجر الكثيرون إلى تركيا خوفا من اجبارهم على اعتناق المسيحية ، واستمر الاضطهاد الوحشي حتى حكم كاترين الثانية، وما بعدها إذ سار على الدرب القيصر بطرس الملقب بالعظيم ١٠٩٢-١١٣٨هـ/١٦٨٢-١٧٢٥م فكانت سياسته كسلفه في فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو الفرار من أراضيهم وأوطانهم.

وتسير الامبراطورية منه ١١٥١-١١٦٩هـ /١٧٣٨-١٧٥٥م على نهج ايفان الرهيب وتفرض التنصير في المجرى الأوسط لنهر الفولجا وتصادر الأوقاف وتغلق المساجد وتصادر أراضي المسلمين ، وتصدر أمرا بإعفاء المرتدين عن الإسلام إلى النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ومعاملتهم معاملة حسنة ليحذى بقية المسلمين حذوهم ، وبالمقابل إزداد الضغط على المسلمين وأنقلوا بالضرائب الفادحة وأجبروا على الخدمة في أخص الوظائف ومنعوا من ممارسة شعائرتهم الدينية وأقفلت جميع مدارسهم ومساجدهم وصودرت أوقافهم الدينية وأختطف منهم أبناءهم الصغار وأدخلوا امدارس التبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية أما المسلم الذي كان يدعو إلى الإسلام حتى بين إخوته المسلمين فكان يحكم عليه بالإعدام .

أصدر القيصرية أمرا بتحريم اعتناق أى دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية ، وعاملوا لمسلمين كارقاء ، وفتحوا مجال التبشير الأرثوذكسي في قراهم ومدنهم ،

(١) أطلق عليه المسلمون لقب الرهيب لحرب الإبادة الشاملة التي شنّها ضدهم فقد فرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل إسرائيل اليوم بمسلمي فلسطين وكما فعل الأسبان النصراني بمسلمي الأندلس من قبل فيما أسموه بحروب الاسترداد، وكما فعل مع التتار والبشكير المسلمين وقد تحول كثير منهم إلى النصرانية مكرهين خوفا على أرواحهم محافظين على إسلامهم سرا مدى سياسة إيفان في عهد خلفائه وخاصة من أسرة رومانوف التي امتد حكمها من ٢٢ ١٢٣٦هـ/١٩١٧م وتستمر هذه السياسة في العهد البلشفي للقيصرية الحمر إبتدئ بسنّالين إلى يومنا هذا.

ووضعوا الخطط للقضاء على أكبر دولة للمسلمين وهي الدولة العثمانية . كان الروس يريدون نشر النصرانية بين السكان المسلمين . قامت كاترين الثانية بالعمل على تصدير المسلمين بكافة الحيل والوسائل ، وتعرض الكثيرون من المسلمين في عهدها للاضطهاد والعقاب ، وقامت بحيلة مضللة قيدت المسلمين الذين أجبرتهم على الهجرة إلى فيافي سيبيريا وغاباتها في السجلات ، على أنهم مسيحيين واعتبرت من بقى منهم على الإسلام بعد ذلك مرتدين توقع عليهم العقوبات الصارمة ، وزعمت أن الوثائق الروسية تقول أنهم في الأصل كانوا وثنيين ثم تنصروا ثم ارتدوا عن المسيحية !! كان الروس يريدونهم مسيحيين فإذا بهم يعتنقوا الإسلام !!، مما زاد من حقد الروس عليهم، لذلك بدأوا بعزلهم .

في عهد كاترين ١١٧٦-١٢١١هـ/١٧٩٦-١٧٦٢م تمت أضخم التوسعات على حساب أراضي المسلمين إذ صادرت الآلاف من أخصب الأراضي الإسلامية وأعطتها لعشاقها المفضلين.

ويأتى بعد كاترين قياصرة بلجاون إلى الضغط على المسلمين فنجد نيقولا الأول ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م لا يسمح ببناء المساجد ويصادر أراضي المسلمين ويطردهم منها . أما في عهد نيقولا الثاني فيعتمد في تكوين جيشه على الجنود المسلمين عند قيام الحرب العالمية الأولى فكان في صفوف جيشه مليون ونصف مليون من الجنود المسلمين الذين أجبروا على قتال الألمان والأترك في حرب كان هدفها إزالة تركيا مركز الخلافة الإسلامية من الوجود والاستيلاء على اسلامبول (القسطنطينية) وتحويلها مرة أخرى إلى عاصمة للمسيحية الأرثوذكسية وإعادة الصليب لى كنيسة آيا صوفيا !! كى يتردد فى جنباتها صوت النواقيس بدلا من نداء الله أكبر !!

بعد سقوط قازان عاصمة امارة التتار عام ١٥٥٢م وبعد أن تفككت امبراطورية المغول من قبل ، ومن بينها أراضيهم في روسيا في الثلاثينات من القرن الخامس عشر ١٤٣٠م وما بعدها ، خلفت وراءها امارات تتارية استقل بها حكامها في القرم واستراخان وقازان ، سرعان ما سقطت في أيدي الروس ، الذين عملوا على محو الآثار الإسلامية منها .

في عام ١٧٨٣م ضم الروس امارة القرم ، ومنذ هذا التاريخ بدأت صور الغضب الروسي تظهر بأشع صورها ، فقاموا بتهجير السكان الأترك إلى اتحاء روسيا وسيبيريا وبلاد التركستان في آسيا الوسطى ، وإلى المدن الروسية ، وحلت محلهم أفواج من الروس والأوكرانيين والأوروبيين . . . وصنع الحكام الروس مثل هذا في قازان واستراخان في حوض الفولجا والقوقاز وآسيا الوسطى !! واستمرت حروب الروس ضد المسلمين للاستيلاء على أرض التتار وتحويلهم إلى سلافيين ، وقاموا بتهجير السلاف إلى مناطق المسلمين بحجة ازدهام السكان في روسيا وحول موسكو ، ولتدعيم الوحدة الوطنية !!

كان هدف الحكومات الروسية ، أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين وتضيق شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد لم ينس هؤلاء القوم ديانتهم الإسلامية ، وظلوا محتفظين بدينهم ونمطهم الإسلامي ، بل وحدث العكس وتمكنت الجماعات التتارية من نشر الإسلام بين معتقي الديانات المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم التركية ، ولا عقيدتهم الإسلامية .

نهاية حكم القياصرة :

أخذت التناقضات الخارجية بين مصالح الإمبراطورية الروسية والإمبراطوريات الأخرى تنمو على شكل مطرد ، ففي الشرق الأقصى ثمة مطامع غربية وأخرى يابانية تتناقض مع مصالحها ، وفي الشرق الأدنى والأوسط كانت مطامع القياصرة الروس في ميراث دولة الخلافة الإسلامية الدولة العثمانية تصطدم مع مطامع الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية اللتين كاننا نتطلعان إلى الاستيلاء على هذا الميراث ، وفي الغرب كانت قوة ألمانيا في تعاطف خاصة بعد توحيدها ، هذا بالإضافة إلى التناقض المزمن مع إمبراطورية النمسا والمجر للسيطرة على الدول السلافية في البلقان وشرق أوروبا .

كانت الهزيمة من نصيب روسيا في كل تحد واجهت به أيًا من هذه التناقضات، ففي حرب القرم ١٨٥٦م تدخلت بريطانيا وفرنسا إلى جانب تركيا الأمر الذي أوقع بالروس هزيمة قاسية ، كذلك في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م حيث طردت روسيا من كوريا ومنشوريا وفقدت ميناء بورث آرثر وهو الميناء الدافئ الوحيد للأسطول الروسي في المحيط الهادي وكانت روسيا قد حصلت من الصين على امتياز استخدام دون باقي الدول الأخرى .

ولم تكن التناقضات الداخلية أقل أثرا في تفكك الإمبراطورية الروسية من الهزائم الخارجية ، فنظام الحكم الاستبدادي والعلاقات الاجتماعية المتخلفة أديا بدورها إلى تخلف الدولة حضاريا عن ركب التقدم الذي أحرزته الدول الكبرى الأخرى ، كما أديا إلى اختتام الثورة بين الجماهير الشعبية المتطلعة إلى أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية أفضل ، وجاءت الظروف المناسبة في الحرب العالمية الأولى والحزب الشيوعي البلشفي وزعيمه لينين .

ووقع نيقولا الثاني في ١٢ مارس عام ١٩١٧ م صك انتحاره السياسي ، لتقوم إمبراطورية لينين وخلفائه على أنقاض نيقولا الثاني وإمبراطورية القياصرة .

وكانت ثورة أكتوبر نهاية لحكم القياصرة وبداية لحكم البلاشفة ، بعد أن دخل لينين وثلاثون من رفاقه داخل عربة قطار مغلقة قادمة من ألمانيا ليضع خطة للانتفاضة المسلحة لإسقاط الحكم القيصري وابعاد نيقولا الثاني وعائلته إلى سيبيريا ليبقى هناك حتى

إعدامه وأفراد عائلته عام ١٩١٨م ، وأعلنت الجمهورية الروسية بعد أن نجح في إشعال ثورة البروليتاريا واحتلت قوات الثورة الكرملين وقاموا بتأمين المشروعات الصناعية الكبرى والبنوك والنقل والتجارة ، وانسحبت روسيا من الحرب بعد أن فقدت في أيام قلائل نحو ٦٠ ألفاً من جنودها واندلعت الحرب الأهلية التي استمرت حتى عام ١٩٢٢م وتكرس في نهايتها انتصار البلاشفة .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي

الثورة البلشفية ونداء لينين :

حين قامت الثورة الشيوعية في روسيا الاتحادية عام ١٩١٧م أصدر لينين زعيم الثورة نداء إلى شعوب شمال القوقاز المسلمين كي يكسبهم إلى جانبه ضد حكم القيصرية جاء فيه : " يا مسلمي روسيا وتتار الفولجا والقرم ، وبأيها القرغيز والشيشان وقوزاق الجبل ، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزارعهم ، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قيصرية روسيا وظالمها من الآن فصعدا ، نعلن أن عاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصونة من الانتهاك ، ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عائق ، إن ذلك من حقكم .. اعملوا حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا، سنحميها بقوة الثورة ومجالس النواب والجنود والفلاحين "

وعلى إثر هذا النداء تنادت شعوب شمال القوقاز إلى مؤتمر قرروا فيه إعلان قيام جمهورية اتحاد شمال القوقاز المستقلة . اعترفت بهذه الجمهورية ألمانيا وتركيا والنمسا وبلغاريا ، ولكن بعد أن انتصر الشيوعيون عام ١٩٢٢م على القيصرية ، وتسلمهم الحكم رسميا في روسيا الاتحادية ، تنكروا لوعودهم لشعوب شمال القوقاز كما جاء في نداء لينين أثناء الثورة ، وأعادوا غزو واحتلال المناطق الإسلامية التي أعلنت استقلالها. وهكذا ورثت روسيا الشيوعية الدول الإسلامية عن روسيا القيصرية، وأضافت إلى حكمها عام ١٩٤٠ دول البلطيق الثلاث لتوانيا ولاتفيا واستونيا إضافة لمولدافيا.

لقد تصالفت عوامل كثيرة حققت النجاح لثورة لينين أهمها وقوف المسلمين في صف لينين بعد أن صدقوا وعوده لهم بالاستقلال خاصة بعد ما عانوه في العهد القيصري، لذلك وقفوا معه ضد قوات روسيا البيضاء ، وكان لينين ذكيا نجح في استقطاب المسلمين في الامبراطورية الروسية إلى صفه ، وعندما اتجه الحلفاء إلى نجدة روسيا القيصرية وحكومة روسيا البيضاء سارع إلى فضح الاتفاقيات السرية التي عقدتها بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام أراضي المسلمين وأعلن أن روسيا الثورة لا ترغب في احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الإسلامية وكذلك أعلن أن اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام إيران اتفاق باطل ولاغ.

مقتطفات من بيان لينين الموجه للمسلمين عام ١٩١٧م:

هدية لينين للمسلمين :

" يا مسلمي روسيا .. يا مسلمي الشرق .. أيها الرفاق .. أيها الأخوة .. إن أحداثنا عظيمة تحدث الآن في روسيا إن العهد الدموي الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين في أرضكم قد قارب النهاية ، وتحت ضربات الثورة الروسية فإن النظام الاستبدادي الاستبدادي يتقوض بناوه الآن .. وإن حكم الطغاة والمستبدين ومصاصي الدماء يقترب من أيامه الأخيرة الآن وأن عالما جديدا يولد الآن ، عالم العمال والفلاحين والأحرار ، إن عهد الرأسماليين والامبرياليين يتداعى الآن وأن الأرض بميد من تحت أرجلهم وتشتعل الثورة من تحت أقدامهم .. وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت إليكم يا مسلمي روسيا والشرق الذين استرقموا الاستعمار واستلبوا أموالكم وأرضكم .. يا مسلمي روسيا وياتتسار الفولجا ويا أيها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان ، ويا سكان القوقاس الأبطال وقبائل الشيشان وسكان الجبال الأشداء .. أنتم يامن هدمت مساجدكم وحطمت معابدكم ومزق القياصرة أطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم .. ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريةكم في العبادة .. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم ، وإن عاداتكم حرة لا يمكن المساس بها .. اعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصنوعة بقوة الثورة .. لهذا نطلب تأييدكم للثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريةكم الدينية والمدنية .. يا مسلمي الشرق يا مسلمي إيران وتركيا وبلاد العرب والهند .. أنتم يامن من تاحر حصاصو الدماء الأوربيين المستعمرون بحياتكم وأوطانكم وحريةكم لعدة قرون من الزمان .. أنتم يا من يتأمر هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشعلون نار الحرب لتكونوا أتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم .. أما نحن فنعلن بأعلى صوت أن الاتفاقيات السرية بين روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيا الاستعماريين والتي بموجبها اقتسموا أراضيكم أيها المسلمون واستلبوا ثرواتكم ونهبوا خيراتكم ، نعلن أنها باطلة ، ونعلن أن خطط القيصرة المخلوع وحكومته التي أزاحت الشعب للاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية باطلة ولاغية .

إن جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون أنهم ضد احتلال أراضي الغير بالقوة ونعلن أن القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين .. كما نعلن أن الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينهما لاغية وباطلة .. ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية .. ونضمن استقلال إيران الكامل ، ونعلن أننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينيا منها وأن هذه الاتفاقيات السرية باطلة ولاغية .

ليس من روسيا أيها المسلمون سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوروبية المستعمرة.. من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثرواتكم وكانكم غنائم الحرب المنتظرة ..

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة .. ثوروا فإن أي شرارة الآن ستكون حريقاً يلتهم بنيان الطغيان والاستعمار والاستبداد .. إن الهنود المسلمين الذين ذاقوا النذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى ، ويرفضون أن يبقوا حول أعناقهم الأغلال التي غلثهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان .. يامسلي روسيا يامسلي الشرق هلموا إلينا .. إلى طريق الحرية والعدانة لنبني هذا العالم من جديد على أسس الحق والخير والعدل . " توقيع فلاديمير لينين وجوزيف ستالين .

وحادثت الوقائع والأحداث نترا لتؤكد أن البيان الذي صاغه اليهود ، ما كان إلا مجموعة من المتناقضات والمغالطات المتعمدة لتحقيق أطماعهم ، إذ قام الروس الحمر بهدم عشرات الآلاف من المساجد والمدارس الدينية وصادروا كل الكتب الدينية وأحرقوها ، وكان القيام بالمشاعر الإسلامية جريمة عقابها القتل ، فمنعت الصلاة وكذلك الصوم والحج . ولو كان قادة الثورة يهتمهم أمر المسلحين ، ما تجاهلوا وعد بلفور الذي صدر قبل البيان بعشرين يوماً ، وما كان احتلالهم للقوقاز والتركستان بالقوة ، وما سارت الأمور على النحو الذي سارت عليه عكس ما توقع المسلمون !!

قراءة في بيان لينين :

يقول الدكتور محمد عبد القادر أحمد الأستاذ بجامعة البحرين: " يتضح من وعد لينين لمسلمي روسيا بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم ، كما يوجه في الإعلان النداءات إلى المسلمين خارج روسيا يحثهم فيها على الثورة على بريطانيا خاصة والحلفاء عامة الذين استعمروا العالم الإسلامي ، وامتهنوا كرامته ، ونهبوا خيراته وحاربوا دينه وأنفوا شريعته .

كما قام لينين بتسليم مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذي كان في حوزة القيصرة إلى ممثلي مسلمي روسيا في مؤتمر بتروجراد ، وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار .

ولما كان المسلمون قد ذاقوا كثيراً من أوان الظلم في عهد القياصرة فقد انعقدت آمالهم على ما جاء في بيان لينين خاصة أمانيتهم في إقامة دولة إسلامية ذات استقلال ذاتي في ظل الحكم الجديد . وتظاهر البلاشفة في أول الأمر بتعاطفهم مع تلك الأمانى الوطنية

والدينية حتى يوطدوا سلطتهم فى البلاد . حتى إذا ما تم لهم ذلك ظهر الوجه الحقيقى للحكم الشيوعى المعادى للإسلام .

لقد فرح المسلمون بإعلان لينين واعتقدوا أن العصر الذهبى لهم قد بدأ يصبح حقيقة وبدأوا فى تشكيل مؤسساتهم الوطنية والحكومة المحلية كخطوة نحو تشكيل حكومات مستقلة كما بدأوا فى ترميم مساجدهم ودرء عبادتهم .

لقد بلغت سياسة لينين الدعائية حدا من الذجاح جعل بعض المسلمين يعتقدون أن ثورة أكتوبر البلشفية جاءت منحة من السماء لإنقاذهم من حكم القياصرة والاستعمار الأوروبى بل وصلت دعاية لينين إلى درجة الزعم بأن نظامه يقوم على مبادئ القرآن الكريم وشريعة الإسلام لذلك وقفوا فى صف سياسته منذ اللحظة الأولى .

لكن فرحة المسلمين لم تدم طويلا فسرعان ما نقدت الحكومة الشيوعية وعودها ، فتعرض الرعاء الدينيون للاضطهاد ، وإغلقت المعاهد الدينية ولم يسمح بالتعليم الدينى ، وفرضت ضرائب على المساجد التى استمرت فى ممارسة نشاطها .

ولكن لما تبين للقادة السوفيت أن هذه الاجراءات الإدارية غير كافية بدأوا فى استعمال العسلة والإرهاب فأصدر لينين فى إبريل ١٩١٨ أمرا إلى الجيش الأحمر بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار وأخذت الدبابات والطائرات تحصد المدن حصدا ، وكانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا ومزودة بأحدث الأسلحة بينما كان المسلمون قلة عدة وعتادا ، ولم تمتد يد إسلامية واحدة لمساعدتهم عسكريا فتساقطت مدنهم وبلادهم فى أيدي الغزاة الروس بعد كفاح مرير وبطولات واستشهاد و منذ هذا التاريخ بدأ مخطط تفنيت هذه الشعوب المسلمة .

وبمجرد احتلال المناطق الإسلامية بدأ الزعاء الشيوعيون فى روسيا إنشاء ما يسمى بجمهورية الحكم الذاتى تدميرا لوحدة المسلمين، وبدأ السوفيت يهتمون الشعب المسلم صراحة بمعادة الثورة .

وعندما اندلعت الحرب الأهلية المروعة سنة ١٩٢٢ فى وجه الحكومة الشيوعية بدأت هذه الحكومة فى الحد من محاربتها للمسلمين ولكن ما إن انتصرت فى هذه الحرب حتى انطلقت مرة أخرى بقسوة ووحشية أكثر من ذى قبل ضد الإسلام والمسلمين فكسان الجيش الأحمر يقبض على المسلمين ويقتلهم قتلا جماعيا ، كما صادروا المحاصيل والماشية ، وسلب ونهب ، ويحكى (ريمون شارل) أعمال الشدة التى باشرها الحكم السوفيت ضد المسلمين ودينهم فيقول : إنه فى غضون عدة سنوات حولت ألوف المساجد إلى مواخير ونواد واسطبلات كما حولت جامعة سمرقند إلى ناد للملحدين وأغلقت المدارس الدينية (أحمد شلبى ١٩٩٠ ، ط ٨ ، ص ٥٩١) .

ثم أطلقت يد الشيوعيين القوميين في مسلمى آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون في ذبح المسلمين بالجملة ، وإحراق المنازل وقتل المواشي ، ارتكاب المجازر والفظائع ، والجرائم التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، وقد قتل في هذه المجازر ما يزيد على مليون ونصف مليون من رجال الدين ، وما يزيد على أربعة ملايين مسلم من غير رجال الدين ، هذا عدا الذين هربوا إلى البلاد المحاورة (أحمد شلبي ١٩٩٠ ص ٥٩١) .

لقد اعتنق كثير من مسلمي روسيا الشيوعية مصدقين دعوة الشيوعيين لهم بإمكانية التوفيق بين الشيوعية والإسلام ، وقد دامت هذه الشيوعية الإسلامية حوالى عشرين سنة من ١٩١٨-١٩٣٨ حاول الشيوعيون المسلمون خلالها أن يكيّفوا الماركسية اللينينية الروسية مع ثقافة الإسلام لكنهم فشلوا وفي الختام يصفى الشيوعيون معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين . ولم يستثن الشيوعيون المسلمين المخلصين لهم على بقية إخوانهم من المسلمين والذين وطدوا لهم أركان حكمهم الاستعماري فى المناطق الإسلامية، فقد كان الهلاك مصير الجميع.

وتستمر سياسة لينين فى عهد ستالين بصورة أشد بطشا وأكثر دموية ففى عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفى شعب بأكملها إلى مجاهل سيبيريا بعد أن قتل منهم مئات الآلاف.

ولم يتم العدول عن سياسة اضطهاد المسلمين إلا أثناء فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٢-١٩٣٨) فخلال هذه الفترة عدلت الحكومة السوفيتية عن سياسة الاضطهاد التى كانت تتبعها ضد الإسلام والمسلمين ، وتكمنت الحكومة السوفيتية من استغلال الموقف السياسى الجديد بتطبيع العلاقات ووضع اتفاقية نتج عنها وضع حد للدعايات المناهضة للدين أو فى جانبها الأكبر على الأقل وبذلك استعاد الإسلام وضعه القانونى وأصبحت أوقافا مفرأ للإدارة الإسلامية.

لقد شهدت هذه الفترة نوعا من التعايش أسهمت فى إيجاده عدة عوامل لعل أهمها إدراك الزعامة السوفيتية أن الوحه الإسلامى للإتحاد السوفيتى أو ادعاء احترام الإسلام يمكن أن يكون رصيذا له فى علاقاته مع الصحوة الإسلامية التى شهدتها منطقة الشرق الأوسط مما يحول بين هذه الصحوة وبين تأثر مناطقها الإسلامية.

وبعد عام ١٩٥٣ بواصل خرتشوف حملاته النفسية على المسلمين تحسنت شعار (العودة لتعاليم لينين) فيخفف عدد المساحد وعدد الأئمة ويضيق على المسلمين فى عيشهم وتوظيفهم واحتلال المناصب القيادية.

وتلخص مجلة (ملى تركستان) فى عدد ديسمبر ١٩٥١ ومارس ١٩٥٢ مراحل العدوان الشيوعى البلشفي على المسلمين فى شت مراحل هي :

- [١] من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٢٤ ، وقتل خلال هذه المدة عدد كبير من التركستان تحت ستار تمكين الحكم الروسي الجديد .
- [٢] من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٢٨ وكان القتل خلال هذه المرحلة تحت ستار إقامة الجمهر ربات السوفيتية حيث تم قتل كل من يعارض هذا الاتجاه .
- [٣] من سنة ١٩٢٨ إلى ١٩٣٦ وألغى في هذه المرحلة نظام الاقطاع وأقيمت المزارع الجماعية وقتل في هذه المرحلة رجال الاقطاع وأعوانهم وألوف من الشخصيات الدينية الإسلامية التي خيف منها أن تدافع عن الملكيات الخاصة وتم في هذه المرحلة القضاء على استعمال الحروف العربية وحل محلها الحروف اللاتينية .
- [٤] من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٣٨ ونعد أخطر مرحلة في تاريخ الإبادة إذ قتل فيها من نعتوا من المسلمين بأنهم أعداء الشعب وسقط في هذه المرحلة ألوف من الأساتذة والطلاب والكتاب والصحفيين السياسيين وكثير من أصحاب المناصب الكبيرة .
- [٥] من سنة ١٩٣٨ إلى ١٩٤٥ وانتشر خلال هذه المرحلة سلاح الدفاع الداخلي وتعرض للإرهاب والطغيان عدد كبير من الناس بحجة أنهم جواسيس .
- [٦] المرحلة التي تلت بعد سنة ١٩٤٥م وكان شعارها (الجبهة التي ترمى إلى القضاء على لتاريخ والفكر والآداب التي لا تتناسب مع الفكر الماركسي)^(١).

ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي :

نارت شعوب الشيشان والأنجوش والبلغار عام ١٩٢٩م ضد الحكم الشيوعي ، وتم قصف القرى والمدن النائية بالمدفعية الثقيلة وقتل الآلاف من الثائرين وأعدم جميع الزعماء ، وفي عام ١٩٣٧م قام الشيوعيون بحملة قوية ضد الإسلام استهدفت العلماء والمساجد ودور تعليم القرآن ، وتم إعدام كثير من العلماء في شمال القوقاز ، فتقلص عددهم من عشرة آلاف إلى بضع مئات ، كما هدمت المساجد ودور تعليم القرآن وألغيت المحاكم الشرعية وأنشئت بدلا منها لجان التوثيق والمصالحة برئاسة مواطنين شيوعيين من كوادر الحزب الشيوعي .

أدى هذا القمع الديني إلى ثورة عارمة في بلاد الشيشان عام ١٩٣٩م. استمرت لنهاية عام ١٩٤٠م وحشد الشيوعيون قواتهم الضخمة التي انتهت بالقضاء على الثورة وإعدام زعمائها ، وفي فبراير عام ١٩٤٤م قام ستالين بنفي شعوب الشيشان والأنجوش والقبراطى والبلكار ، وكذلك تثار القرم إلى آسيا الوسطى وسيبيريا حيث أقام معسكرات الاعتقال والعمل القسري ، وكان الشيشان والأنجوش من أكثر الشعوب تمردا. وفي عام

(١) أخبار الخليج - دراسات - ١١/٩/١٩٩١م

١٩٥٤م ثار أربعة آلاف شيشاني في معسكرات الاعتقال بكازاخستان ، وتغلبوا على قوات الحراسة وحرروا السجناء ، فطاردتهم القوات الشيوعية وقتل الكثيرون ونجح الآخرون في الهرب . يقول عنهم الكاتب الروسي المعروف الكسندر سولنجستين الذي أرسله ستالين إلى معسكرات الاعتقال في سيبيريا بسبب كتاباته المناهضة للشيوعية: " لك أن تكسر ظهورهم ، لكن لا يستطيع أحد أن ينال من روحهم المعنوية ، لقد ظلت نفوسهم نمورا مقيدة بالسلاسل .. إنهم لا يرهبون الموت !! "

وفي عام ١٩٥٧ بعد وفاة ستالين ، تسلم نيكيتا خروتشوف الحكم ، فأصدر عفوا عن الشعوب التي تم نفيها ، فعاد منهم من نجا من معسكرات الاعتقال بسيبيريا وكازاخستان _ وكان ممن عاد الرئيس الراحل جوهر دوداييف ، ورئيس البرلمان السوفييتي السابق رسلان حسبولاتوف ، وكانا طفلين صغيرين على أكتاف والديهما ، عندما تم نفي الشعب الشيشاني ، حيث قضى الاثنان ثلاث عشرة سنة من عمرهما في معسكرات الاعتقال بكازاخستان .

الاضطهاد الروسي للمسلمين في الامبراطورية الروسية :

استمر الاضطهاد الوحشي للمسلمين منذ تفككت دولة التتار ، فأجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية بعد حرق مساجدهم ومصادرة أملاكهم ، مما دفع الكثيرون إلى الهجرة إلى تركيا وبلاد الشام ، وكان هدف الحكومات الروسية المتعاقبة أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين ، فتضييع شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد الروسي لم ينس هؤلاء القوم هويتهم ، فقاموا بنشر الإسلام بين معتقبي المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم وعقيدتهم .

قاس خانات آسيا الوسطى من شراسة الهجمة الروسية الوحشية التوسعية بشكل لم يحدث له مثل في مكان في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، فابتلعوا أراضي دولة خيوة عام ١٨٣٩م وكشروا عن أنبياهم عام ١٨٥٥م وعام ١٨٦٤م وهاجموا قوقاند ، ثم بخارى عام ١٨٦٨م واستعمروا بلاد المسلمين وألحقوها ببلادهم ، بعد أن لطم الروس أيديهم بدماء الأبرياء المسلمين .

حركت الحكومات الروسية نحو ١٦ مليون سلافي إلى جمهوريات آسيا الوسطى ، وفي مقابل هذه الأعداد هجرت المسلمين من بلادهم إلى أنحاء الاتحاد الروسي ، لتكسون الغلدة العددية للروس السلاف في الجمهوريات الإسلامية . ومن جراء ذلك تغيرت التركيبة السكانية ، فأصبحت نسبة المسلمين في كازاخستان ٤٠% وفي سائر الجمهوريات ارتفعت نسبة العناصر السلافية على حساب المسلمين . وفعلوا ذلك مع تثار القرم ، وفي القوقاز ، وحوض الفولجا .

أرغم الروس شعوب الشيشان والأنجوش والبلكار على الخروج من أوطانهم ، إلى سيبيريا وجزر سخالين ، ونقلوهم بطريقة وحشية في عربات للحيوانات القذرة ، دون أن يكون لدى هؤلاء المسلمين ما يدفع عنهم البرد القارس والرياح الثلجية .

هدم الروس المساجد وضيقوا على المسلمين في إقامة شعائرهم الدينية ، واعتبروا صيام رمضان عادة بربرية قذرة تعطل النمو الاقتصادي ، وحرموا الحج إلى بيت الله الحرام ، وجعلوا من الأحد عطلة رسمية بدلا من يوم الجمعة .

ولما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ بلغ الاضطهاد أشده على المسلمين ، وعلى مقدساتهم ، وأصبحوا فريسة للجيش الأحمر ، فألغت السلطات الروسية تعدد الزوجات وارتداء الحجاب ، كما ألغيت المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية ، وأغلقت المساجد ، وأوقفوا أداء الحج والعمرة للمسلمين ، وأبطلوا الصيام والزكاة ، وأوقفوا طبع المصاحف والكتب الدينية ، وألغوا دخل علماء المسلمين من الأراضي الموقوفة .

حرموا على أبناء المسلمين تعلم القرآن الكريم وقواعد الدين الإسلامي قبل سن الثامنة عشرة ، وحرموا على رجال الدين ممارسة نشاطهم الديني ، وحرموا المطبوعات العربية لعلاقتها بالمصحف الشريف ، وظل هذا الوضع المجحف بالمسلمين حتى الحوب العالمية الثانية ، ثم خفت وطأة الظلم قليلا فسمح للمسلمين بإنشاء الإدارات الدينية للإشراف على المسلمين ورعايتهم .

من صور الاضطهاد الديني الروسي للمسلمين :

الاضطهاد الديني الذي تمارسه اليوم روسيا ضد المسلمين في القوقاز ، ليس بجديد وليس أمرا حديثا ، ففي بداية القرن السادس عشر ، رفع هيرماهان أسقف قازان تقريرا إلى القيصر تيودور ، يسرد فيه بلسان محرق بالغ الأثر حوادث فشل التبشير المسيحي ، وارتدد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلي _ الإسلام _ وجرأتهم في إقامة شعائرهم الدينية بمساجد أقاموها من جديد .

وبناء على هذا التقرير الأسقى قام القيصر بتدابير صارمة ضد المسلمين ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم ، مع إجبارهم على الإقامة في أحياء خاصة ، أنشئت خصيصا لهم تحت إشراف أحد الأمراء الروس ، ثم كلف الشبان المسلمين بالزواج من روسيات ، والشابات المسلمات من الزواج من روسيين ، ومن خالف الأمر كان مصيره السجن وتعذيبه بوضع القيود في يديه ورجليه ، وضربه بالسياط ، وكما لو كان هذا التعذيب غير كاف لإشباع نفسية القيصر ، فأمر بهدم المساجد التي بنيت من عصور ، وبطرد المسلمين من مدينتهم ، وكان له ما أراد .

وجاء البلاشفة الشيوعيون ، فكتموا خططهم السرية بمهارة ، وأخفوا حقيقة موقفهم من الدين ، وظهروا أمام الشعوب _ إلى حين تركيز القوة في أيديهم _ بمظهر محبب إلى النفوس ، ثم أسفروا عن حقيقتهم ، وبدأ الحزب الشيوعي ينشر خلاياه الإلحادية في أرجاء الاتحاد السوفييتي ، ونشطت في استئصال شأفة الدين بالقضاء على القضاة والمفتين والمدرسين والوعاظ والخطباء والأئمة والمؤذنين ، واحتلوا المدارس والمساجد ، وحولوها إلى مسارح واصطبلات خيول ومخازن للمؤن والذخائر ، وإلى أندية ودور سينما ، وأشياء لا يقرها شرع ولا دين .

ألغوا المحاكم الشرعية وديار الإفناء ، وجمعوا نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية وأحرقوها ، ولم يشهد العالم انحطاطا خلقيا مثل هذا في المجتمعات الهمجية ، ونجت من أيدي الملحدنين بعض الجوامع النادرة التي اعتبرت آثارا عمرانية ، لتتخذها موسكو وسيلة لنفي ما يقال عنها.

مذبحة القرم :

في عام ١٩٣٨ وصل الاضطهاد الديني في القرم إلى ذروته ، ولم يعد الناس يشاهدون شيئا باسم الدين ، بعد إحراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية ، وتحويل المساجد والمدارس إلى مؤسسات شيوعية ، وقتل العلماء ، أو نفيهم إلى سيبيريا ، وفي ليلة من الليالي اعتقل الروس آخر من بقي من العلماء ، وبعد تعذيبهم أتى بهم الشيوعيون منهوكي القوى إلى محطة تكرير المياه بالمدينة ، المقام على شاطئ البحر الأسود ، وزجوا بهم على انفراد على عجلات الماكينات المعدة لتكون مفرمة ومذبحة لهم .

حدثت هذه الصور البشعة ، وتكرر حدوثها حيث يعيش المسلمون. يقول شاهد عيان فر من لإدارة الروسية وكتبت له الحياة : " إن من وسائل التعذيب ما لا تطبق الآداب الإنسانية أن تذكرها للناس ، من قذارتها ، ومن وسائل التعذيب :

- دق المسامير الطويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ ، وإحراق المسجون بعد صب النفط عليه .
- جعل المسجون هدفا لرصاصة الجنود يتمنون عليه .
- نتف من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .
- خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .
- ربط المسجون على سرير ربطا محكما ثم تركه لأيام عديدة . أو صب الزيت المغلي على جسم المعتد ، أو صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأذونهم وعيونهم .

■ ضرب أجزاء الجسم بعضا فيها مسامير حادة ، أو تمشيط الجسم بأمشاط حديدية حادة .

■ حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، وتجوعهم حتى الموت . كان هذا للرجال ، أما النساء فحظهن من مثل هذا العذاب ، أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على تديهن وصدورهن ، ومواقع أخرى اختاروها ، وطرق دنيئة استعملوها يعف اللسان عن ذكرها حياء وخجلا .

وحدث هذا في ظل مواد الدستور السوفييتي الذي عدله ستالين عام ١٩٣٦ لتقبول: صيانة الحريات في الاعتقاد ، ولجميع المواطنين حريتهم في ممارسة الشعائر الدينية .. مارست الدولة الروسية عملية افناء منظمة للقضاء على العنصر الإسلامي فيها، فبلغت نسبة الفناء في بعض المناطق نحو ٤٥% باعتراف جريدة برافدا الرسمية ، وإن كانت نسبت هذا إلى المجاعة التي حلت بالقرم ، ولكن هذه المجاعة لم تصنع في المدن المجاورة غير الإسلامية شيئا . فكأنما اختارت المسلمين وحدهم لتحصدهم وهو أمر لدى الروس معقول وليس بمستغرب!!

ثم نمضي مع الزمن فنجد أهل القرم المسلمين يكونون لروسيا السوفييتية البغضاء، ويتربصون بها الدوائر ، حتى إذا كانت الحرب العالمية الثانية ، وزحفت الجحافل الألمانية إلى الأراضي الروسية ، تخيل المسلمون أن العداة المستحکم بين الروس والألمان سيمنحهم الحرية ، ناسين أن الروح الصليبية هي التي تسيطر على الروس والألمان تجاه المسلمين على حد سواء ، وأن الأوربيين قد يعادي بعضهم بعضا ، وقد ينقسمون إلى معسكرات شتى .. ولكنهم سواء عندما يواجهون المسلمين .

ساق الألمان الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين في القرم إلى ما وراء خطوط النلر مئات الكيلومترات كقطيع الغنم .. حفاة وعراة الأجسام والرووس ، دون أن يقدم إليهم طعام ولا شراب أو غطاء ، ومن تأخر منهم بضعة خطوات ، ولو لعنر قاهر كالمرض أو التعب ، كان نصيبه رصاصة ترديه قتيلا دون سؤال أو جواب ، وأقل احتجاج أو تذمر من المعاملة الألمانية القاسية ، كان كافيا للجندي أن يودع الدنيا إلى الأبد .. وكان الألمان يقومون بهذه العملية ضد الأسرى المسلمين الأبرياء ، بعد فرزهم من بين عموم الأسرى !!

الشبيوعية تحارب الإسلام:

ويقول: محمد عبدالقادر أحمد تحت عنوان "الشبيوعية تحارب الإسلام": لم تكثف الشبيوعية بأسلوب واحد لمحاربة الإسلام بل اتخذت أشكالا كثيرة، من ذلك على سبيل المثال نشر

مئات الكتب والنشرات المعادية للدين والموجهة ضد الإسلام، وتجنيد عدد من الكوادر الملحدة لاستخدامهم في حملاتهم المعادية للإسلام.

ومن أجل ذلك كونت الشيوعية جماعات الإعلام السياسي الملحدة بجانب لجان الحزب المختلفة، وجمعية "بيليم" في أوزبكستان، وأعضاء الكوموسمول، والعمال، والمدرسين، وأساتذة الجامعات، ورجال الإدارة في الكولخوزات، والعاملين في التخصصات المختلفة، وكل هؤلاء دربوا على الدعاية ضد الإسلام. وكانت الحكومة الشيوعية تبعث بتوجيهاتها دائماً لاتحادات الكتاب كي تكون الموضوعات الملحدة من أبرز موضوعات كتاباتهم بحيث يخصص من بين هذه الموضوعات ما يحارب الطقوس الدينية التي كانت باقية في المناطق الإسلامية، وإحلال الطقوس العلمانية محلها، ومحاربة الاحتفالات الدينية ومنعها.

وقد عقدت لجان الحزب الشيوعي والكوموسمول المركزية والإقليمية منذ سنة ١٩٨٠م العديد من الندوات حول الدعاية الملحدة، والتعليم الملحد، من ذلك اجتماع اللجنة المركزية للكوموسمول في تركمانيا السوفيتية (أشخباد ١٩٨٣م)، وفي "الندوة الخاصة بالمنطقة" في أنديزان (يناير ١٩٨٣م)، والمخصصة أساساً لتشكيل جماعات نشطة ضد الدين في وادي فرغانة، وندوة أخرى خاصة بالمنطقة في ذات المدينة (مارس ١٩٨٣م) لمساعدة المناضلين ضد الدين في أذربيجان، وفيرغيزستان، وطاجيكستان، وتركمينستان، ومؤتمر لجنة حزب مدينة أشخباد (سبتمبر ١٩٨٢م) وخصص لتحسين الدعاية الملحدة في تركمانيا السوفيتية، وندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لأذربيجان (بأكو ديسمبر ١٩٨٢) وكان موضوعها "أساليب تحسين الدعاية والتعليم للملحدين". وأنشئ في سنة ١٩٨٢ معبد جديد معاد للدين في جمهورية آسيا الوسطى باسم "بيت الإلحاد العلمي لأوزبكستان" ومقره في طشقند وله فروع في جميع أماكن العبادة في جمهورية أوزبكستان. ومن أهداف هذه المؤسسة نشر الكتب المعادية للدين وفتح المدارس الإلحادية والجامعات الشعبية.

وعلى الرغم من وجود ديانات وقوميات أخرى غير الإسلام إلا أن عدائهم للإسلام كان أشد، وكان شغلهم الشاغل القضاء عليه، فلم ينظروا إليه على أنه مجرد دين فحسب، وإنما حركة لها قوتها وفعاليتها السياسية نظراً لأنها تمثل ملايين المسلمين.

لقد كانت نظرة الشيوعي للمسلم نظرة احتقار، وكانوا يطلقون على المسلمين اسم "الكلاب المختونين" وكانوا يسخرون من إتمام زواجهم على يد المأذون الشرعي، لذلك صدر مرسوم ٢١ ديسمبر ١٩١٧م طالب بالتوثيق المدني للزواج بدلاً من التوثيق الديني، وقضى انعدام أي أثر قانوني للعلاقة بين الزوجين أو بين الأبناء والأبناء إذا اكتفى الزوجان بالتوثيق الشرعي لعقد الزواج، ثم ألغيت المحاكم الشرعية نهائياً لأنها تعطي

للمسلمين سلطة على حياتهم اليومية، وتقوي كيانهم كمسلمين (سعد عبدالعزيز مصلوح، ١٩٨٠، ص ٤٤). كما حرمت القوانين الشيوعية على المسلمين حق تعدد الزوجات مهما كان السبب، ونص دستور الدولة على ذلك، لذلك وجدنا المسلمين في جمهورية كازاخستان بعد قيام انقلاب أغسطس ١٩٩١م يطالبون بإلغاء هذا القانون الذي يحرمهم من حق بكفله لهم دينهم (الأهرام بتاريخ ١٥/١٠/١٩٩١م، ص ٤).

لقد لاقى المسلمون من أصناف القهر والعنف على أيدي الشيوعيين ما يعجز عن تحمله غيرهم. تقول الكاتبة هيلين كرير راتكوس في مقال نشر بصحيفة "لوموند الفرنسية" في ٤ يناير ١٩٨٠م "لقد حل بالمسلمين الكثير على أيدي زعماء الثورة البلشفية، فقد خربت مساجدهم، واستهزئ بأعرافهم ومعتقداتهم من جانب الشيوعيين".
لقد كان الشيوعيون وفي أيديهم الجيش الأحمر يقبضون على المسلمين ويقتلونهم قتلًا جماعيًا، كما صادروا محاصيلهم ومواشيهم وسلبوا ونهبوا ممتلكاتهم.

ويحكي ريمون شارل الكاتب الفرنسي في كتابه أعمال العنف التي باشرها الحكم السوفيتي ضد المسلمين في الإسلام بقوله "في غضون عدة سنوات حولت آلاف المساجد إلى مواخير ونواد واسطبلات، كما حولت جامعة سمرقند إلى ناد للملحدين، وأغلقت المدارس الدينية.

ثم أطلقت يد الشيوعيين في مسلمي آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون في ذبح المسمين بالجملة، وإحراق المنازل، وقتل المواشي، وارتكاب المجازر والفظائع والحرائم التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً وقد قتل في هذه المجازر ما يزيد على مليون ونصف مليون مسلم من رجال الدين، وما يزيد على ٤ ملايين مسلم من غير رجال الدين، هذا عدا الذين هربوا إلى البلدان المجاورة.

لقد ألقى جيش الشيوعيين الحمر القبض على آلاف من الرجال والنساء الأبرياء الذين لم يتركوا أرضهم ومنازلهم وبنفذوا أوامر النفي إلى سيبيريا، وذلك كما يزعم العدو بسبب تطلعاتهم الوطنية، وتمنياتهم القومية، وأيديولوجيتهم الدينية والسياسية. وقد أعدم كل هؤلاء بصفة عاجلة دون محاكمة أو تحقيق. وأفادت الأخبار التي سربها شهود عيان بأن الجيش الأحمر كان يدفن المسلمين من الرجال والنساء والأطفال بالجرارات وهم مازالوا على قيد الحياة. وقد كرر الجيش الأحمر هذا الأسلوب أيضًا مع المسلمين في أفغانستان في "عقاب احتلاله الوحشي الغاشم له.

تقسيم المنطقة الإسلامية:

ومن أساليب حرب السوفيت للإسلام تقسيم المنطقة الإسلامية إلى دويلات، نعم لقد كانت هذه المنطقة تضم قبائل متعددة وكانت تقع بين هذه القبائل منازعات وأحيانًا حروب

ولكنهم كانوا جميعاً أمام عدو الإسلام يذأ واحدة سرعان ما ينسون خلافاتهم وشقاقهم. لقد أدرك الشيوعيون أن سيطرتهم على المسلمين لن تكون إلا إذا أوقفوا بينهم الخلاف والعداوة والبغضاء وقسموهم إلى دويلات ولم يقف تقسيمهم عند الحدود الجغرافية إنما امتد حتى شمل اللغة وهذا ما فعلوه مع جمهورية (داغستان فقد قسموها إلى سبع لغات) كما قسموا القوقاز إلى خمسة أقاليم: داغستان، وروسيا الشمالية، وكيردين، وسركش، واديكيي. وفعلوا هذا التقسيم في آسيا الوسطى سكان هذه المنطقة الإسلامية على الرغم من أنهم كانوا يتكونون من قبائل مختلفة لكن هذه القبائل كانت متحدة من ناحية الثقافة واللغة، وأخوة الإسلام، وقد نجح الشيوعيون في تطبيق منهج التفريق والتقسيم الذي اتبعوه في القوقاز وأبدل أورال فقسموا هذه المنطقة إلى خمس قبائل هي: التركمان، والتاجك، والكرغان، والقازاق، والأزبك. وقد سارع الشيوعيون بترحيل أعداد كبيرة من اليهود السوفيت ووطنوهم في المناطق الإسلامية ليفتتوا التكتلات الإسلامية ويقللوا من تماسكها ونفوذها.

واتبعوا التقسيم الإداري لآسيا الوسطى بتقسيم سياسي، فبدلاً من الأمة التركستانية التي كانت تضم شعوب هذه المنطقة أسست السلطات السوفيتية عدة شعوب وقوميات لكل منها إقليم خاص ولغة مكتوبة خاصة. ويعد شعب الأوزبك أكبر المجموعات الست الرئيسية التي تضم أبناء المنطقة الأصليين، بينما يمثل شعب كاركالباكس أصغر الشعوب الإسلامية وجميع هذه الشعوب فيما عدا شعب التاجك من أصل تركي. ويشكل الأوزبك غالبية السكان في جمهوريتهم، بينما بعد الكازال أقلية في جمهوريتهم إذ يتقدم عليهم الروس من الناحية العددية بعد أن فقد الكازاك ما يقرب من مليون شخص فيما بين ١٩٢٦-١٩٣٦م بسبب مقاومتهم لإجراءات الأنظمة الجماعية، وكذلك يعد القرغيز أقلية في جمهوريتهم، وإن كانوا أكبر المجموعات التي تعيش فيها مع الشعوب التركية الأخوى وهي الأوزبك والتتار، والإيغور والكازاك، حيث يشكلون أغلبية السكان هناك. أما التركمان والتاجك فهم أغلبية في بلادهم، كما توجد أعداد كبيرة من التاجل في أوزبكستان (نادر دولت، ١٩٨٦ك ص ٤٣٨).

لقد كان شغل الشيوعيين الشاغل إبعاد المسلمين عن دينهم وهدم أركان عقيدتهم فمنعواهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

ويتصل بمنعهم المسلمين من الصلاة سخريتهم من طهارة المسلمين من الحديثين الأكبر والأصغر، وهدم مساجدهم وتدميرها، ويروي التاريخ أن الشيوعيين الروس هدموا عند دخولهم قازان سبعمئة مسجد من مساجدها الشهيرة، كما حطموا وحولوا آلاف المدارس الإسلامية التي كانت تعلم المسلمين أمور دينهم إلى مدارس لتعليم الشيوعية، كما حطموا المطبعة الإسلامية التي كانت تطبع القرآن الكريم، ومئات الكتب الإسلامية التي

كان يدرس فيها سبعة آلاف طالب وحولها إلى جامعة شيوعية (محمد علي البار، ١٩٨٣م، ص ١١٠).

وعندما دخل الشيوعيون إلى منطقة القرم ذات الأغلبية المسلمة قاموا بتخطيط المساجد وتحويلها إلى اصطبلات وصلالات قمار، ونواد، ومتاحف، وقد تم تهديم وتحويل ١٥٥٨ مسجداً في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م وعام ١٣٦٤م / ١٩٤٥م. إن مدينة كازان كانت تغر غداة قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م بأنها تضم ١٣ مسجداً، ولم يكن عدد سكانها يزيد على ٢٠٦ آلاف نسمة. أما الآن وعدد سكانها يصل إلى المليون نسمة غالبية منهم من المسلمين فلا تجد لديهم سوى مسجد واحد (نادر دولت، ١٩٨٦م، ص ٤٤٦).

ولم يقتصر الأمر عند حد منع المسلمين من إقامة الصلاة بل منعوا فرضاً آخر من فروض المسلمين وهو أداء الزكاة، وكانت حجتهم أن جمع أموال الزكاة وتكديسها في يد رجال الدين يحولها إلى قوة مالية ينبغي أن بحسب لها حساب. كما منعوا المسلمين من إقامة فرضهم الرابع وهو صيام شهر رمضان مدعين أن الصوم معطل للإنتاج (شاننال لمربية، ألكسندر بينفسن، ١٩٧٧م، ص ٢٣٣-٢٣٤). ومنعتهم أيضاً من ممارسة شعائر فرضهم الخامس وهو حد بيت الله الحرام في مكة المكرمة حتى لا يتصل المسلمون الروس بإخوانهم المسلمين في أثناء تجمع الحج (إحسان حقي، ١٩٧٨م، ص ٩١-٩٣).

لقد انخفض عدد الحجاج في العهد البلشفي انخفاضاً كبيراً، فقبل الثورة سنة ١٩١٧م كان يصل عدد الحجاج كل عام إلى ما بين ٥٠,٠٠٠ غلى ٦٠,٠٠٠ حاج، وبعد ثورة ١٩١٧م كان يتراوح عدد الحجاج من ٩-١٨ حاجاً كل عام. وعلى من يرغب في أن يحج من أي إقليم أو جمهورية أن يدون اسمه ويرسل إلى مقر الحزب الرئيسي في موسكو ولا توافق الحكومة إلا على من يؤيدون المذهب الشيوعي ويعرفون عن مبادئه أكثر مما يعرفون عن الإسلام. وفي كثير من مواسم الحج بعث الاتحاد السوفيتي بحجاج أعضاء في اتحاد المحاربين الملحد. أما المسلمون المتمسكون بإسلامهم ودينهم فكان مصير طلباتهم إلى الحج الرفض.

وكان هدف الاتحاد السوفيتي من إرسال هؤلاء الحجاج الملحدين الظهور أمام العالم الإسلامي بأن المسلمين السوفيت أحرار، وتعطيهم السلطات الحق في ممارسة شعائرهم الدينية. ومما يؤكد اختيار السوفيت للحجاج الملحدين الذين لا يعرفون شيئاً عن الدين الإسلامي ما جاء في مجلة (ترجمان - كراجي في نوفمبر سنة ١٩٥٣م ص ٣٨) عندما أرسلت حكومة الاتحاد السوفيتي ثمانية عشر حاجاً من حجاجها هذا العام إلى مكة

المكرمة كان رئيس قافلتهم رجلاً لا يعرف كيف يصلي، ولا يفقه شيئاً عن الإسلام وتعاليمه.

ولم يرغب عن بال الشيوعيين أن المدارس الدينية في المناطق الإسلامية لها دور كبير في تعليم المسلمين أمور دينهم وحثهم على التمسك بأركانها فشرعوا في هدمها وغلقها وتحويلها إلى مدارس شيوعية، فبعد أن كان بتركستان وحدها ٧,٢٩٠ مدرسة ابتدائية إسلامية يرتادها أكثر من ٧٠,٠٠٠ تلميذ و ٣٧٥ مدرسة ثانوية يرتادها ٩٠,٦٠٠ طالب، صدر مرسوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ بمنع التعليم الديني في المدارس ولم يأت عام ١٩٢٨ إلا وقد صفت هذه المدارس تماماً وأخلي المجال للتعليم الشيوعي الماركسي للتوجه (عبد الرحمن النقيب، ١٩٨٦، ص ٦٨).

لقد نجح الشيوعيون في القضاء على كل المدارس الدينية الإسلامية بحيث صار لا يوجد في الاتحاد السوفيتي الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلومتر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه حسب آخر تقدير ٧٠ مليوناً سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الإسلامي واحدة في بخارى والأخرى في طشقند.

ومن أساليب حرب الإسلام قتل المسلمين فرادى وجماعات، وذبحهم فسي بعض الأحيان كما تذبح الحيوانات وتصفيتهم تصفية جماعية في أحيان أخرى.

وتعد عملية دفن المسلمين السوفيت أحياء من قبل الشيوعيين عملية عادية، ويعثر من حين إلى آخر في الجمهوريات الإسلامية على خنادق كبيرة تحمل جثث موتى في أوضاع تدل على أنهم دفنوا أحياء.

ومن جرائم الواد التي كانوا يرتكبوها أنهم كانوا يحفرون آباراً عميقة ثم يأتون بمن ألقى القبض عليهم، ويوقفوهم أمام البئر واحداً خلف الآخر ثم يركلون الواحد بأرجلهم ليسقط في البئر حتى يمتلئ فإذا امتلأ البئر هالوا عليه التراب إلى أن يساوونه بالأرض، ثم يبدؤون في إسقاط المسلمين في البئر التالي حتى يمتلئ. وهكذا دواليك حتى ينتهوا من المقبوض عليهم. ولن ينسى التاريخ مذبحه الحزب الشيوعي للمسلمين في باكوا في مارس ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) والتي راح ضحيتها ١٨,٠٠٠ مسلم (مجلة الشؤون السوفيتية عدد ١٩٦٠/٤، و عدد ٢٧، ٢٨ سنة ١٩٧٠م).

لن ينسى المسلمون في الاتحاد السوفيتي حرب إبادة لينين لهم ولأجدادهم، ومذبحه القرم، ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطة، ثم أكلوا موتاهم.

لن ينسى المسلمون مذابح التركستان التي قامت بها جحافل جيش لينين بالتعاون مع المستوطنين الروس الذين زرعتهم دولة القياصرة البيض في وسط التركستان ومنها مذبحه عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م أي قبيل ثورة ١٩١٧م. وكان من نتيجة حملات الإبادة الجماعية فرار ملايين من أهل تركستان المسلمين إلى المناطق المجاورة في أفغانستان

و إيران والصين، ومناطق شرق آسيا، ووصل كثير منهم إلى تركيا، ومجموعات أخرى توطنت الحجاز في مكة والمدينة وجدة. أما الذين ماتوا منهم نتيجة المجاعة فقد كانوا أكثر من ثلاثة ملايين تركستاني مسلم. (انتهى كلام محمد عبدالقادر أحمد).

ويقول أيضاً عن موقف الشيوعيين من اللغة العربية تحت عنوان (التجسس على المسلمين):

حرص السوفييت على تغليب شعور التضامن الطبقي على الشعور القومي. ومن هنا حاربوا القوميات حرباً لا هوادة فيها. ولم يتورعوا في أن يصفوا جماعة أو أفراداً ينادون بالقومية، وابتدعوا نظام إشراف الحزب الشيوعي الروسي على جميع أعمال الدول الاتحادية في كل جمهورية، وقدموا فيها المصالح الاتحادية على أية مصلحة محلية، وخاصة في الثقافة والاقتصاد. ولأجل ضمان الالتزام بالمبادئ الشيوعية زرع جهاز الاستخبارات الروسية (كي جي بي) الجاسوسية في كل مكان خاصة في المناطق الإسلامية، وأصبح الابن يتجسس على أبيه، وصار عملاء الحزب الشيوعي موجودين في كل مكان حتى داخل الأسرة الواحدة. مما جعل المسلمين يتظاهرون بأنهم لا يؤدون الشعائر الإسلامية أمام الناس. ففي صفوف العائلة الواحدة لا تقام الصلاة إلا إذا تأكد الجميع أنه لا يوجد بين أعضاء الأسرة عملاء للدولة أو للحزب الشيوعي.

وكان تشرب المواطن في مراحل التعليم المختلفة لتعاليم ومبادئ الحزب الشيوعي هو غاية الغايات ومنتهى الطلب. لذلك أعطت الدولة عناية فائقة لما يسمى (بالسلوك) الذي يقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره. وكانت درجات السلوك تتال أهمية بالغة في حياة التلميذ تفوق أهمية الدرجات التي يحصل عليها في العلوم الأكاديمية. إذ قد يعيد التلميذ العام الدراسي إذ فشل في السلوك (وهيب سمعان، محمد منير مرسي، ١٩٧٧، ص ٧٤) وهناك تمثال للطفل الروسي المثالي ممثلاً في طفل وشي بوالده الذي يعتنق أفكاراً مناهضة للحزب الشيوعي. فالوشاية حتى بالأباء والأصدقاء والأقربين هسي قمة السلوك الاشتراكي الذي تتطلبه الدولة والحزب من أطفالها وطلابها.

لقد حرص السوفييت البلاشفة على أن يضعوا عيونهم وبيئوا جواسيسهم في صفوف المجاهدين والثائرين من المسلمين ضد حكمهم وتعاليمهم، وكان جواسيسهم ينشرون في صفوف الثائرين أن قادتهم يعملون لصالحهم وليس لصالح المسلمين ككل وأطلقوا على حركة البسماجية الثائرة ضد فظائع السوفييت في المناطق الإسلامية اسم قطاع الطرق الباغين. لكن المخلصين من المسلمين لم ينصتوا لدعايات هؤلاء المغرضين وكان لفظ البسماجي في نظرهم يعني المجاهد الثائر ضد قوى البغي والشر والعدوان.

وركز الكتاب السوفييت في كتاباتهم على وصف البسماجيين بأنهم من فقراء المسلمين الذين استغل رجال الدين بساطتهم و فقرهم نجد ذلك في كتابات واسيلفسكي K.Vesilevshiy الذي يرى أن هؤلاء ليسوا مجاهدين إنما قاموا للضغط على الحكومة لتعطيهم الغذاء والأموال.

لقد نجح جواسيس البلاشفة في زرع الفتنة بين قادة البسماجية الثائرين في تركستان فذب بينهم الخلاف وتفرقوا ولم يقف بعضهم بجانب بعض!

كما نجحوا في تشكيك أمر بخارى في نوايا الثائر المجهد أنور باشا عندما طلب منه المساعدة لقتال الشيوعيين ورجاه أن يؤسس حكومة إسلامية محلية لكي تمد جيش المسلمين بالمؤن والعتاد، فأوقعوا في روع أمير بخارى بأن أنور باشا يريد أن يؤسس حكومة إسلامية في وسط آسيا لكي يستولي على بخارى بعد ذلك هو ومن معه المجاهدين في جيشه.

ونجح جواسيس السوفييت في اختراق صفوف المجاهدين ونشر الخلاف بينهم وكونوا من المنشقين جماعة "البسماجيون السوفييت" وكان أكثر أعضاء هذه الجماعة من فرغانة الذين استمالهم السوفييت وزودهم بالأموال، وقد نجح أعضاء هذه الجماعة الجديدة في إشاعة الفرقة والاضطراب في جيش أنور باشا. وحولوا محبة جنده له إلى عداوة. بل امتد نحاحهم إلى حد استمالة المحاهدين كي يتركوا جيش أنور باشا وينضموا إلى الجيش الأحمر السوفيتي.

واندس الجواسيس السوفييت بين علماء المسلمين وأقنعوهم بأن حكومة السوفييت تحترم العلماء وأنها تدعو إلى اشتراكية الإسلام وأن من يدعون إلى الجهاد يريدون أن يحققوا لأنفسهم مكاسب شخصية وأنهم يعبدون المنفعة ووصموهم بكلمات نفرت العامة من المجاهدين ومن العلماء الموجودين في صفوفهم، فسقطت هيبة هؤلاء العلماء ونزل وقارهم ووقع بينهم وبين العلماء الممثلين للسوفييت النزاع والتجدل.

ووقف العلماء الذين كسب السوفييت انتزاعهم من صفوف المسلمين يدعون للنظام الشيوعي ويدافعون عنه، وجاءوا من القرآن بأيات تثبت أنه نظام واقعي يأخذ من الغني ليعطي الفقير. ومن علماء المسلمين المخدوعين "بيرايشان فخر الدين ولي خوجه بييه" يقول في إحدى خطبه مؤيداً النظام الشيوعي: "أريد أن أقول لكم إن الحكومة الروسية إنما جاءت لتوفر لنا الأمن وتحافظ علينا وتحمينا. لذا يجب علينا أن نؤيدها. فهي حكومة الفقراء التي توفر لهم الرزق، وتعطيهم الأرض الزراعية، وتلزم الأغنياء بمساعدة الفقراء، إنها حكومة المساكين والعمال والفقراء".

لقد خدع كثير من علماء المسلمين ضعيفي الإيمان بسم الشيوعية في العسل الذي قدمه لهم هؤلاء الجواسيس وحولهم من مناهضين إلى مؤيدين ومدافعين عن الشيوعية.

يقول الكاتب "شواكونتر" لقد وقع أثر هذا العمل في الناس حتى حمد الشيوخ والعلماء الشيوعيين، ورطبوا ألسنتهم بحمدهم والثناء عليهم في وقت سبوا فيه المجاهدين وحركوا البسماجية ووصل الأمر إلى أنهم كانوا مستعدين أن يخرجوا لمقابلتهم وقتالهم".

لقد أنفق الشيوعيون أموالاً كثيرة على التجسس في المنطقة الإسلامية بحيث لا يكاد يخلو مسجد أو مدرسة أو نقابة أو تجمع أو حتى أسرة من سطوة هذه الجاسوسة وقد أعدم كثير من المسلمين بوشايات الجواسيس واتهامهم للمسلمين بأنهم أعداء الشعب وأعداء الثورة أو أنهم يمثلون القوى المضادة ولم يأمن الناس على أنفسهم وأولادهم وأرزاقهم خوفاً من غدر هؤلاء الجواسيس وتهمهم الملققة في كثير من الأحيان. وحتى بعد فشل انقلاب ١٨ أغسطس ١٩٩١ وسقوط جهاز الاستخبارات كي. جي. بي ظل الناس خائفين من سطوة هؤلاء الجواسيس يتضح ذلك مما رواه أحد الصحفيين عن سيدة أوكرانية في الأربعين من عمرها تقول "لقد ولدنا ونشأنا في قفص ولا يستطيع شعبنا أن يتكلم فالإنسان منا يظن أنه سيفقد حريته أو عمله على الأقل أو شقته إذا ما تجرأ على الحديث".

سأل الصحفي المرأة عن اسمها فامتنعت عن التصريح به، وكان قد تجمع حولها نفر من الشباب المتحمس فقالوا لها: مم تخافين، لقد صرنا شعباً حراً الآن؟ عندئذ التفتت إليهم وقالت: أخاف منكم جميعاً، فقد تكونوا عملاء لـ كي. جي. بي.

ومن هذا المنطلق لم يحرز المسلم في الاتحاد السوفيتي أن يقول "أنا مسلم" أما أحد فلو سأله حد عن ديانته يقول: أنا شيوعي فإذا كرر عليه السائل قوله: ألسنت مسلماً؟ يقول: لا أنا شيوعي. وعندما كان ينجح بعض الصحفيين العرب أو المسلمين ويذهبون إلى المنطقة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ويثق فيهم المسلمون كانوا يظهرون لهم إسلامهم وتمسكهم بدينهم ويطلبون منهم أن يعرفوا العالم بما يعانون من قهر واستعباد لعل العالم يساعدهم على هدم هذا الاستعباد والقهر والعدوان. وقد استجاب الله لدعائهم.

محاولات القضاء على الحرف العربي:

ولا تكف مؤامرة الشيوعيين عند محاولة القضاء على اللغة العربية عند المسلمين السوفيت بل امتدت إلى محاولة القضاء على الحرف العربي الذي كان يكتب به المسلمون السوفيت إدراكاً منهم أن الخط العربي يعد من أهم مقومات القومية الإسلامية وأخصها إذ ليس هناك أفضل من اللغة العربية وخطها العربي لتأكيد الشخصية القومية.

لقد واجهت اللغة العربية وخطها العربي هجمة ضارية من الشيوعيين السوفيت، فعند دخول الروس البلاشفة إلى المناطق الإسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعها بالحرف العربي، وتدخلها كثير من الكلمات العربية، كما كان هناك ما يقرب من أربعين

لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين إلى إيجاد كتابة لجميع هذه اللهجات، وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة، ويكتبونها بالحرف الروسي، كما أن عليهم تعلم الروسية كلغة أم ثانية .

وعلى الرغم من أن الفكر الشيوعي يصطدم أساساً مع القوميات، إلا أن الشيوعيين أشعلوا النعرة القومية بين مسلمي روسيا كما أسلفت، إمعاناً في تشقيتهم وتفريقهم، بل وذهبوا إلى أكبر من ذلك بمحاولتهم القضاء على فكرة الأمة الإسلامية، وقسموا المنطقة إلى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية، وإلى ثماني جمهوريات ذات استقلال ذاتي، وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق .

ومن بين هذه الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي جمهورية "تشيشينيا" التي رفضت قرارات يلتسن وأعلنت الاستقلال الذاتي والتعبئة العامة في ٩ من نوفمبر سنة ١٩٩١م وحاصرت القوات الروسية في المطار وناشد رئيسها الجنرال داودايف المسلم الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي للوقوف معه ضد موسكو، وتقع جمهورية "تشيشينيا" بين بحر قزوين، والبحر الأسود .

لقد حاول الشيوعيون السوفيت تحت واجهة الإصلاح الثقافي إلغاء الكتابة بالحرف العربي وإبدالها بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي (الكيريلي)، ويفرض ستالين خلق لغة بشكيرية وضع العلماء الروس مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تترية قديمة بدلاً من استخدام اللغة التترية ذات الأبجدية العربية، وكذلك حول لغة التركمان من الكتابة بالحرف العربي إلى الكتابة بالحرف اللاتيني ثم الكتابة بالحرف الروسي وفي العشرينات أنشئت في منطقة التركمان لغة أدبية مبنية على لهجتى الطقة واليمود، وكتبت بالحروف العربية ثم بالحروف اللاتينية، وأخيراً في عام ١٩٣٩ كتبت بالحروف الكيريلية (الأسبوع العربي، ١٢ بتاريخ ٢٦/٤/١٩٨٢م، ص ٥٦)، وكذلك حول الشيو عيون اللغة التديجكية التي كان يتكلمها التديجك، وهي فارسية، من كتابتها بالحرف العربي إلى الحروف الكيريلية وذلك منذ ١٩٣٩م .

لقد انتهت كل محاولات الشيوعيين إلى تحويل كل كتابات المسلمين من الحرف العربي إلى الحرف الروسي الكيريلي أملاً في أن تصبح على مرور الزمن اللغة الروسية اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا تتكلمها كل العناصر المتقفة من كل شعوب الاتحاد السوفيتي، خصوصاً وأنه قرر تدريس اللغة الروسية في جميع المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى وثانية، وهي لغة النعلم الوحيدة في أكثر أقسام الدراسات العليا، وبدا فإن الشاب المسلم الذي يريد متابعة دراسه العلمية لاد أن يكون على معرفة كافية باللغة الروسية،

ولا بد له من ذلك أيضاً حتى يتسنى له أن يبني مستقبله وينجح في الحياة (شانتال لمربيه كلجكي، الكسندر بينفسن ١٩٧٧، ص ٣١٩).

لكن ينبغي أن يدرك القارئ أن هذا التحويل من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ثم إلى الحرف الروسي الكبريلي لم يكن أمراً سهلاً مر بسهولة، فقد قاوم المسلمون ببسالة لأنه ارتبط عندهم بقوميتهم الإسلامية، ووقف كثير من الزعماء المسلمين يذودون عن الحرف العربي، ويبدلون قصارى جهدهم للحيلولة دون ذوبان شخصية المسلمين القومية، ومن بين هؤلاء الزعماء المسلمين غالي موجان إبراهيموف من تيار فولجا عينه ستالين سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) رئيساً للمفوضية المركزية للشئون الإسلامية، وتولي مراكز هامة للشيوخيين، ومع أن موسكو بعثت بقوات مركزية الإرهاب والتخلص من هذا الزعيم الإسلامي القومي، إلا أنها لم تتمكن من تنفيذ خطتها، إذ اصطدمت قواتها بمجموعات من الرجال المسلحين تكونت منهم عناصر المقاومة الإسلامية التي لقيت كل تأييد من جموع الشعب .

وجن جنون ستالين وانتقم بإلغاء استخدام الحروف العربية في الجمهوريات الإسلامية بالقوة ويفرض بدلاً منها الحروف الروسية، كما قاوم الثقافات الدينية التي كلنت نشطة في المناطق الإسلامية، ثم يقبض ستالين على الزعيم غالي موجان إبراهيموف لمقاومته تحويل الكتابة التترية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ثم يعدمه في السجن سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) .

وشارك الكتاب المسلمون في الدفاع عن اللغة العربية والحرف العربي فأسسوا في طشقند "جمعية التشاغاتاي" وكانت تضم بين أعضائها الكتاب : منور قاري، وعبدالووف فطرت، وعبدالله أفلائي باتو، رئيس مصلحة الشئون الثقافية في كوميسارية الشعب للتعليم في تركستان .. وغيرهم كثير، وبعد أن حلت هذه الجمعية عام ١٩٢٢ عادت فانبعثت مرة أخرى عام ١٩٢٧ تحت اسم "كيزيل كلام" أي "الريشة الحمراء" لكن الشيوعيين السوفيت صفوا أعضائها جسدياً بعد عام ١٩٣٧م لعدم موافقتهم في كتاباتهم على سياسة التجزئة القومية ومقاومتهم إنشاء لغات أدبية جديدة وبصفتهم قوميين يدعون لرابطة الشعوب التركية:

لقد 'لغنت' الكتاب والأدباء المسلمون إلى خطورة ظهور اللغات الإقليمية الجديدة، وإلى محاولة القضاء على اللغة العربية والخط العربي، لكل ذلك يشكل عامل هدم للوحدة اللغوية وبالتالي للثقافة الإسلامية، ولذا بذلوا جهوداً طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات، وفي عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) قام المفكر والسياسي التتاري إسماعيل غسبرالي (غسبرينسكي) بإطلاق شعار: كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم، وحاولوا إيجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم، وكتب بها جريدته

اليومية (الترجمان) التي ظل ينشرها في بغتشيباري من سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) حتى عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) والتي عدت من أعظم الدوريات الإسلامية في ذلك الوقت . ما أشبه اليوم بالبارحة .. أن موقف الشيو عيين البلاشفة من اللغة العربية والحرف العربي هو موقف الاستعمار من اللغة العربية وحرفها العربي الذي لم يتوقف حتى يومنا هذا، وأحدث بلد عربي إسلامي تحول عن الكتابة بالخط العربي هو جمهورية الصومال وذلك خلال عام ١٩٩٠، وهو ما حدث أيضاً من قبل في تركيا، فقد كانت اللغة التركسية تستعمل الخط العربي حتى ٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٨م حينما أوقف كمال أتاتورك استعمال الخط العربي وغيره بالأبجدية اللاتينية .

ورغم محاولات الاستعمار المميتة إلا أنه لم ينجح في تحويل كثير من البلدان العربية الإسلامية في آسيا وجعلها تعدل عن الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية فلا تزال اللغة الفارسية ترسم بالحروف العربية، وكذلك لغة البشتو لغة أفغانستان، والاردو لغة باكستان، ولغة الملايو التي تكتب بحروف عربية منذ القرن السادس عشر . وفي الحزام الإفريقي رغم محاولات الاستعمار إلا أن كثيراً من اللغات الإفريقية لا تزال تستعمل الحرف العربي في أحيان كثيرة.